علوم الحديث
عند الزيدية والمحدثين

تأليف
عبد الله بن حمود العزي

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

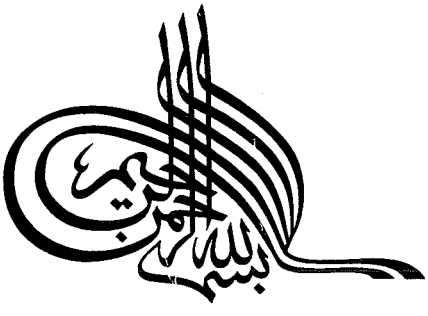
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله الطاهرين، وبعـــد : فقد اطلعت على المؤلف القويم حول علوم الحديث وقواعده للسيد العلامة التقي / عبدالله بن حمود بن درهم العزي حفظه الله ، فوجدته مؤلفاً عظيماً قد استوفى فيه معرفة علوم الحديث وقرّب ذلك للمطلع وقسّمه إلى أبواب متنوعة بعد أن أورد مقدّمة مفيدة في نشأة علوم الحديث ، ثم ذكر قواعد أهل البيت عليهم السلام ، وفي الأبواب تناول أقسام الحديث من متواتر وآحادي وحسن وضعيف .. إلى غير ذلك من أقسام أنواع الحديث على قواعد المحدّثينوالزيدية وتناول الحديث الصحيح وشروطه عند أهل البيت عليهم السلام ، ووضح الجرح والتعديل على قواعد المحدثين والزيدية ، وما هو رأي أهل البيت فيمن جرحه المحدثون من أتباعهم وتعرّض إلى ذكر الأحاديث المتعارضة وشروط الترجيح بينها ، مع التنبيه على بعض الشيعة المجروحين عند المحدثين والرد عليهم بأوضح رد ، وذكر أهم مصنفات الزيدية في الحديث وفي الرجال وفي الهامش ترجم لكثير من أئمة الزيدية وعلمائها .

وخلاصة القول فهو كتاب حافل احتوى على قواعد الحديث عند الزيدية والمحدثين ، وهو كإسمه ، وهو الآن لا يزال في المثابرة والمجاهدة بنفسه وماله في سبيل نشر وإحياءِ علوم آل محمد صلوات الله عليهم وسلامه بالتحقيق والتأليف والنشر ، فجزاه الله أفضل الجزاء ، وأسأل العلي القدير أن يعينه إلى ما فيه رضاه وتقواه ، وأن يوفق الجميع إلى ما يحب ويرضا آمـــين .

محمد بن الحسن العجري عفى الله عنه

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

تم الصف والإخراج والتحقيق

بمركز العدل والتوحيد للدراسات والبحوث والتحقيق

الجمهورية اليمنية، صعدة، ت: ٥١٤٠٠٦ ٩٦٧٧ ، ص.ب. ٩٠١٦٨

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٤٣٦٨٤، عمّان ١١٨٤٤، المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف/فاكس: ٥٣٤٨١٢٨ ٩٦٢٦

P.O.Box 10754, McLean, VA 22102, USA

Website: www.izbacf.org ; email: info@izbacf.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة:

الحمـــدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الأمين ، وعلى آله الطاهرين ، ورضي الله عن صحابته المتقين .

ـــ وبعـــد ـــ

فـــإن الســـنة النبوية محل عناية المسلمين جيلاً بعد جيل ، وقبيلاً إثر قبيل ، وذلك لما لها من أهمية بالغة بعد القرآن الكريم في التشريع الإسلامي .

ومـــنذ فجـــر الإسلام بذل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جهدهـــم ، ليستوعبوا هديه الكريم وسنته المطهرة ، وأقواله الشريفة في جميع أحوالـــه ســـفراً وحضراً ، ليلاً ونهاراً ، وعملوا على تعلم الحديث وحفظه ، وتـــناوبوا في مجـــالس الحضـــرة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وكـــان الرســـول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم دائم الحث لهم على التثـــبت والـــتقيد بما تلقوه حتى يبلغوه كما سمعوه ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : (نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه ، فرب مُبلّغ أوعى من سامع)[1].

---

(١) ـــ رواه الإمام المؤيد بالله عليه السلام في شرح التجريد ـــ خ ـــ ، وأخرجه الترمذي : ٣٣/٥ ، وقال : هذا حديث صحيح ، وابن ماجه : ٨٥/١ ، وغيرهم .

ولكـــنهم قالوا : صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآه وسمع منه ولقف عنه ، فيأخذوا بقوله ، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بمـــا وصفهم به لك . ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالـــزور والبهتان[1] ، فولوهم الأعمال ، وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس فأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة.

٢ــ (الخاطـــئون) : ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شـــيئاً لم يحفظـــه على وجهه، فَوَهِم فيه ، و لم يتعمد كذباً ، فهو في يديه ، ويـــرويه ويعمل به ، ويقول : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه ، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه .

٣ــ (أهـــل الشبهه) : ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وســـلم شيئاً يأمر به ثم إنه نهى عنه وهو لا يعلم ، فحفظ المنسوخ و لم يحفظ الناســـخ ، فلو علم إنه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه إنه منسوخ لرفضوه .

٤ــ (الحـــافظون الصـــادقون) : وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رســـوله ، مبغض للكذب خوفاً من الله ، وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و لم يَهِم[2] ، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يـــزد فيه و لم ينقص منه فهوحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنَّب عنه ، وعرف الخاص والعام والمحكم والمتشابه فوضع كل شئ موضعه .

---

(١) ــ سيأتي أمثلة على ذلك في الباب الثاني .

(٢) ــ لم يخطئ و لم يظن خلاف الواقع .

وفي روايـــة : (نضر الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها ، فرب حامل فقه إلى غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[١] .

وحذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث عنه بما لم يقله أو يقصـــده ، فقـــال : (أيها الناس إياكم وكثرة الحديث ، من قال عني فلا يقول إلا حقاً وصدقاً ، ومن قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)[٢] .

ففطـــن البعض لما حذر منه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يفطن البعض الآخر ، فحدّث بالوهم وعمل بالشُبه والظن .

أنواع الرواة في عصر الصحابة :

وقـــد صوّر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الحالة التي كان عـــليها الـــرواة في عصر الصحابة فقال : (إنَّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً ، وصـــدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظـــاً ووهماً ولقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهـــده حـــتى قام خطيباً فقال :(من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[٣] . وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس :

١ــ (المـــنافقون) : رجـــل منافق ، مظهر للإيمان ،متصنع بالإسلام ، لا يـــتأثم[٤] ، ولا يتحرج ، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مـــتعمداً ، فلوعلم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ، ولم يصدّقوا قوله ،

---

(١) ــ رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه : ١١٧ .

(٢) ــ رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه : ١١٧ .

(٣) ــ سيأتي تخريجه .

(٤) ــ أي لا يخاف الإثم .

من الأحاديث الصحيحة .

وقـــد تأصلت قاعدة فحص الأحاديث في عصر الصحابة ، مثّلها مجموعة مـــنهم ، وكان الإمام علي عليه السلام على رأسهم ، بل وأشدهم حفظاً لها وتحرياً في نقلها وروايتها .

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أسماء بن الحكم الفزاري قال : (سمعت عـــلياً قال : كنتُ إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً نفعـــني الله به بما شاء أن ينفعني منه ، وإذا حدّثني غيري عنه استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته)[٢] ، واستحلافه عليه السلام لمن حدّثه لم يكن لتهمة ، وإنما للإحتياط ، إذ لو كانت لما قبله أصلاً .

كما ردت السيدة عائشة بعضاً من الأحاديث التي أدركت مخالفتها للقرآن أو عدم قدرة راويها على روايتها بإتقان ، ومن الأمثلة على ذلك ردها لحديث (إن محمداً رأى ربه)[٣] !! .

مـــن طـــرق وصححه ، والطبراني في الكبير (١١ / ٦٥ــ ٦٦ رقم ١١٠٦١) وابن أبي حاتم في الجـــرح والـــتعديل ٦ / ٩٩ ، وقال : سألت أبي عنه فقال : ما آراه إلا صدقا ، وقد ألّف السيد العلامـــة الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري كتاباً حول هذا الحديث استكمل فيه طرقه ، وبيّن صحته ، سمّاه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي)

(١) ــ رواه الإمـــام أبي طـــالب في الأمالي : ٣٩ ، عن أم سلمه ، وكذلك الهينمي في مجمع الزوائد (١٣٤/٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١٢٤/٣) عن علي عليه السلام وأخرجه ابن عساكر في تـــاريخ دمشق ٢/ ١٥٣ عن أبي سعيد ، وله مصادر كثيرة ، وشواهد ومتابعات كلها تؤكد اقتران الحق بأمير المؤمنين علي عليه السلام ودورانه معه ومسايرته له .

(٢) ــ المسند : ١٠/١ .

(٣) ــ انظـــر صـــحيح مســـلم : ١/ ١٥٨ ، وبالنسبة لمسألة الرؤية سواء في الدنيا أو الآخرة فقد استوفيت الكلام عنها في كتابنا رؤية الله تعالى بين العقل والنقل .

كـلام ذو وجهـين :

وقـــد كـــان يكون من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الكلام له وجهان: فكلام خاص ، وكلام عام ، فيسمعه من لايعرف ماعنى الله سبحانه بـــه ، ولا مـــا عنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيحمله السامع ويوجهـــه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله ، وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يسأله ويستفهمه حتى إن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا ، وكان لا يمر بي من ذلك شئ إلا سألته عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في إختلافهم وعللهم في رواياتهم)[١] .

درجات الصحابة :

ومن هنا ندرك أن الصحابة[٢] لم يكونوا طرازاً واحداً في الفقه والعلم ولا نمطاً متساوياً في الإدراك والفهم ، ولا نموذجاً واحداً في العدالة والإستقامة ، وإنما كانوا في ذلك طبقات متفاوتة ودرجات مختلفة .

ومـــن المعروف أن الإمام علي عليه السلام كان أعلمهم بالكتاب والسنة عـــلى الإطلاق قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنا مدينـــة العلم وعـــلي بابها)[٣] ، وقال (علي مع الحق والحق مع علي)[١] ، وغيرهما كثير

---

(١) ــ نهج البلاغة (٣٢٥ ــ ٣٢٨) بتحقيق صبحي الصالح .

(٢) ــ سيأتي الكلام عن الصحبة والصحابة في مبحث خاص .

(٣) ــ حديـــث المدينة من الأحاديث الصحيحة المشهورة رواه أئمتنا وجمع من المحدثين ، رواه الإمام الهـــادي عليه السلام في كتاب العدل والتوحيد ٦٩ (رسائل العدل والتوحيد) ، ورواه الشريف الرضـــي في مجازات السنة ٢٠٣ ــ ٢٠٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٦ ــ ١٢٧)

بكفرها في حال بكاء أهلها لابسبب البكاء)[١] .

وأنكرت حديثاً آخر رواه أبو هريرة ، روى أبو داود الطيالسي في مسنده عـــن عـــلقمة قـــال : (كنا عند عائشة فدخل عليها أبو هريرة ، فقالت يا أباهريـــرة أنت الذي تحدث أن امرأة عُذِّبَتْ في هرة لها ربطتها لم تطعمها و لم تســـقها ؟ فقال أبو هريرة سمعته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت عائشة : أتدري ماكانت المرأة ؟! قال : لا قالت: إن المرأة مع مافعلت كانت كافـــرة ، إن المؤمـــن أكرم على الله من أن يُعذِّبَهُ في هرة ، فإذا حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانظر كيف تُحدِّث)[٢] .

كذلـــك لم يقبل عمر بن الخطاب حديثاً سمعه من أبي موسى الأشعري إلا بعد أن أتى عليه ببينة تؤكد صحته ، قال الذهبي في ترجمة عمر بن الخطاب : (وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ، فروى الجريري عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يـــؤذن لـــه ، فرجع فأرسل عمر في أثره فقال : لم رجعت ؟! قال : سمعت رســـول الله صـــلى الله عليه وآله وسلم يقول : (إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يُجَبْ فليرجع)[٣] .

قـــال لتأتيني على ذلك ببينة أولأفعلن بك ، فجاءنا أبو موسى منتقعاً لونه ونحن جلوس ، فقلنا : ماشأنك ؟ فأخبرنا وقال : فهل سمع أحد منكم ؟ فقلنا: نعم كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر ، فأخبره)[٤] ،

---

(١) ـــ شرح صحيح مسلم : ٢٢٨/٥ .

(٢) ـــ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : ١٩٩.

(٣) ـــ البخاري فتح : ٢٧/١١ ، والمسند : ١٠/١ .

(٤) ـــ تذكرة الحفاظ : ١/ ٦ .

روى البخاري بسنده عن مسروق : قال قلت لعائشة رضي الله عنها:(يا أُمَّتاه هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : (لقد قَفَّ شعري مما قلت . أين أنت من ثلاث من حدَّثكهن فقد كذب : من حدثك ان محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الأنعـــام : ١٠٣) ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [١] (الشورى:٥١) ،كما ردت حديثاً من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبدالله ، وهو حديث :(إن الميت ليعذب ببكاء أهله) [٢] .

وقالت يغفر الله لأبي عبدالرحمن أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يهودية يُبكى عليها فقال : (إنهم ليبكون عليها ، وإنها لتعذب في قبرها) [٣]،قال الحافظ النووي : (وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضي الله عنهما ، وأنكرت عائشة ، ونسبتهما إلى النسيان والإشتباه ، عليهما ، وأنكرت أن يكون النبي صـــلى الله عـــليه وآله وسلم قال ذلك ، واحتجت بقوله تعالى :﴿**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـــرَى**﴾ (الأنعام : ١٦٤) ، قالت : وإنما قال النبي صلى الله عـــليه وآلـــه وســـلم في يهودية أنها تعذب ، وهم يبكون عليها يعني تُعَذَّب

---

(١) ــ وبقيـــة كـــلام عائشة هو : (ومن حدثك أنه يعلم مافي غد فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا** ﴾ (لقمان : ٢٤) ، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت: ﴿ **يَـــا أَيُّهَـــا الرَّسُـــولُ بَـــلِّغْ مَا أُنْـــزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ (المائدة : ٦٧) ، والحديث أخرجه البخاري: ٤/ ٢٣٨ ، فتح : ٨/ ٦٠٦ ، ومسلم : ١/ ١١٠ ، وغيرهما .

(٢) ــ رواه البخاري : ٣/ ١٥١ ــ ١٥٢ ، ومسلم : ٢/٦٣٨ .

(٣) ــ شرح صحيح مسلم : ٥/٢٢٨ .

أصـــحاب رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخذ عنه بعضهم . قال الذهبي : (إن كعباً جالس أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية)[١] .

وقد تنبه لخطره عمر بن الخطاب فقال : (لتُتركنَّ الأحاديث أو لألحقنك بـــأرض القـــردة)[٢] ، وماقاله ابن عباس رضي الله عنهما لبشير بن كعب العدوي ، يعد وصفاً دقيقاً للحالة التي وصل إليها الحديث في عهد الصحابة .

وذلك أن بشيراً أتاه فجعل يحدثه ويقول : قال رسول الله . قال رسول الله ، وابن عباس لا يأذن لحديثه ولاينظر إليه .

فقـــال : يا ابن عباس مالي أراك لاتسمع لحديثي ؟ أحدثك عن رسول الله ولاتسمع !!

قال ابن عباس : إنا كنا مدة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله ابتدرته أبصـــارنا ، وأصـــغينا بآذننا ، فلما ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ إلا مانعرفه)[٣] .

فقال : لتتركن الحديث أولألحقنك بأرض القردة وبواسطته وغيره من اليهود تسربت إلى الحديث طائفة من الأقاصيص الإسرائيليه انظر كتاب سير أعلام النبلاء : ٣/٤٨٩ ،تذكرة الحفاظ :١/٤٩ ، حلية الأولياء :٥/٣٦٤ ، المنار : ٩/٤٧٦ .

(١) ـــ سير أعلام النبلاء : ٣/ ٤٨٩ .

(٢) ـــ تاريخ أبي زرعة : ١/٥٤٤ .

(٣) ـــ رواه مسلم في مقدمة جامعه ، وتوضيح الأفكار : ١/٢٦٩ .

المنافقون والإسرائيليات :

ومما لاشك فيه أن المنافقين والوضاعين لم يستطيعوا نيل مايؤملونه من الوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته خوفاً من فضيحتهم ، وانكشاف أمرهم ، ولما أدرك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً من ذلك قام خطيباً وقال : (من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)[١] ، ونبّه الصحابة في كثير من المواضع على ضرورة التقيد بما قاله وإبلاغه إلى من لم يسمعه بأمانة ودراية ، فربما مبلّغ أوعى من سامع .

وأما بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فقد كثر الحديث عنه وضعاً وتدليساً وتلبيساً على مراحل متفرقة ، وفي أوقات مختلفة ، ولأغراض متعددة ولم تسلم الأحاديث من اسرائيليات[٢] كعب الأحبار [٣] الذي جالس

---

(١) ــ حديث صحيح ، رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي : ١١٧ ،والبخاري : ١٦٢/١ فتح ، وابن القيم في تهذيبه : ٢٤٨/٥ ، وأورده صاحب اللالئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة عن نحو سبعين صحابياً ، وفي بعض ألفاظه (متعمداً) ، وبعضها بدون ، ومن المعروف أن الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه ، سواء كان عمداً أم خطأ ، والآثم هنا لا شك هو المتعمد ، ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة ٢٨٦) ، وبما أنه قد ثبت الكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،فإنه يجب التثبت عند رواية الأخبار ، وعدم الإكثار إلا بعد الفحص ، لأنه مظنة الوقوع في الخطأ المذموم الذي قد يأثم صاحبه) .

(٢) ــ سيأتي الكلام موسعاً عن الإسرائيليات في الفصل الرابع من الباب الرابع .

(٣) ــ كعب بن مانع الحميري ، ويكنى بأبي إسحاق ، أسلم في عهد عمر بن الخطاب إسلاماً ظاهراً، ليخدع المسلمين بإسرائيلياته ، وقيل أسلم في عهد أبي بكر وكان من أكبر أحبار اليهود يُعرف بكعب الأحبار ، وسكن في المدينة في عهد خلافة عمر وجعله معاوية من مستشاريه ، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ : أنه قدم من اليمن في عهد عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم . مات بحمص سنة (٣٨ هـ) وقيل غير ذلك ، بعد ما ملأ الشام وغيرها من البلاد الإسلامية برواياته وقصصه المستمدة من الأحبار ، وقد حذره عمر بن الخطاب عن الحديث عندما تنبه إلى خطره

كما في حديث العرض المتقدم ، وحديث (رب مُبلَّغ أوعى من سامع) .

ولكـــن لقـــربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحتاجوا إلى المصـــطلحات الكثيرة ، والمسميات المتعارف عليها اليوم .والتي توسع العلماء فـــيما بعد في البحث عنها ، وذلك كمعرفة المتصل ، والمنقطع من الأسانيد ، ومعرفة العلل الغامضة ، ووسائل معرفة الناسخ والمنسوخ ، وهكذا كلما جاء زمـــن نتج عنه مصطلح أو قاعدة تتعلق بالحديث سواء من ناحية ضبطه ، أو كيفيـــة تحملـــه وأدائه ، أو من ناحية معرفة قوته من ضعفه ، وكان العلماء يتناقلونها شفوياً .

ثم دونوها في أماكن متفرقة من الكتب ، ممزوجة بغيرها من العلوم الأخرى كالفقـــه وأصوله . ثم تطور الأمر فأفرد العلماء علم الحديث أو المصطلح في كـــتاب مستقل ، شأنه شأن العلوم الأخرى . وذلك في منتصف القرن الرابع الهجري تقريباً ، ويعتـــــبر المحدث الشهير ، والحافظ الكبير أحمد بن محمد بن عقـــدة[1] ، المتوفى سنة(٣٣٢) هـــ من أوائل المهتمين بهذا الفن . وله عدة كـــتب في علم الرجال ، كما أفرده بالتصنيف العلامة الحسن بن عبدالرحمن الرَّامُهرمُزي المتوفى سنـــة (٣٦٠) هـــ . فصنف كتاب (المحدث الفاصل بين الـــراوي والواعي) ، ولكنه لم يستوعب جميع أبحاث المصطلح ، ثم تبعه أبو عـــبدالله محمـــد بن عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى سنـــة (٤٠٥) هـــ . فصـــنف كتاب (علوم الحديث) ، ولم يستوعب ، ثم تبعه أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني المتوفى سنـــة (٤٣٠)هـــ فصنف كتاب (المُستخرج على معـــرفة علوم الحديث) استدرك فيه على الحاكم مافاته في كتابه ، ثم تبعه أبو

---

(١) ـــ ستأتي ترجمته ، والكلام حول مؤلفاته ، وأبحاثه في هذا الفن .

دور الدولة الأموية في وضع الحديث :

فإذا كان الناس قد ركبوا الصعبة والذلول في عهد ابن عباس فكيف بما بعد عهـــده؟ وقد كان معاوية يجزل العطاء ، ويعطي الإقطاعات الواسعة ، والمراتب الـــرفيعة لمن وضع حديثاً يذم فيه علياً وشيعته ، ويمتدح معاوية وحاشيته ! ، ولم يقتصـــر على ذلك ، بل ضيّق الخناق على أهل البيت عليهم السلام ، وشيعتهم رضـــوان الله عـــليهم ، وحاصـــرهم فكرياً ، وقد وجّه بتتبع أهم مسائل الفكر الإســـلامي التي حملها أهل البيت عليهم السلام ودافعوا من أجلها ، وأمر بعمل نقيضها ، فأبدل التنـــزيه بالتشبيه ، والإختيار بالجبر ، والحرية بالقهر ، وتحوّلت المنابر من وسائل إرشاد وهداية إلى وسائل شتم وغواية .

ومـــن العجيب أن كل ذلك يحدث تحت ذريعة إتباع السنة والمحافظة على الجماعة !!! .

تدوين علم الحديث ومراحل تطوره :

فمـــن الطـــبيعي أن ينشأ مع هذه الإختلالات المذكورة تدوين قواعد عـــلمية، يعـــرف بها الحديث الصحيح من السقيم ، والمعروف من المنكر ، والناســـخ مـــن المنسوخ ، وسميت هذه القواعد بعلم الحديث ، أو مصطلح الحديث ، قام بتدوينها مجموعة من المحدثين ، ولايعني هذا إنها لم تكن معروفة مـــن قبل في عهد الصحابة ومن بعدهم ، بل كانت معروفة بدليل ماتقدم ، ولأنهم كانوا يعتبرون توثيق الأحاديث لوناً من أحقاق الحق ، وإزهاق الباطل مـــع تـــأكيد القرآن على ذلك : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّـــنُوا** ﴾ (الحجـــرات : ٦) ، وكذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(لم أخـــرج أشـــراً ولا بطـــراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي)[١] .

وقال الثاني : (والله لوددت أن يدي ملصقة بالثريا ، ثم أقع منها حيث أقع ، فأتقطع قطعة قطعة ، ويصلح الله بذلك أمر أمة محمد)[٢] ، إنهم أخذوا على عواتقهـــم مهمة تصحيح السنة النبوية ، وإصلاح أمر الأمة المحمدية ، (وإن تـــباهى أهـــل ديـــن بشـــهدائهم ، فإنه يحق للمسلمين أن يتباهوا بشهداء الزيدية)[٣].

ويعتـــبر الإمام زيد بن علي عليه السلام[٤] المتوفى سنة ١٢٢هـــ أول من جمـــع كـــتاب حديثي في مواضيع الفقه ، وهو المعروف اليوم باسم (مسند الإمام زيد) ، وأكد في كثير من رسائله على ضرورة الإلتزام بضوابط قبول الحديث ومن أهمها مقارنتها بنصوص الكتاب العزيز .

قـــال عليه السلام لبعض أصحابه حين سأله عن الأحاديث المختلف فيها : (اعلم يرحمك الله أنه ما ذهب نبي قط من بين أمته ، إلا وقد أثبت الله حججه عليهم ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، فما كان من بدعة وضلالة فإنما هو من الحـــدث الذي كان من بعده ، وأنه يُكذَب على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (اعرضوا الحديث إذا سمعتموه على القرآن ، فما كان من القرآن فهو عني وأنا قلته ، وما لم يكن

---

(١) ـــ عاشوراء : ١١١ .

(٢) ـــ رسائل الإمام زيد : خ .

(٣) ـــ الزيدية : د / صبحي : ص١٠٠ .

(٤) ـــ ستأتي ترجمته .

بكـــر أحمـــد بن علي الخطيب المتوفى سنـــة (٤٦٣)هـــ . فصنف كتاب (الكفايـــة في علم الرواية) ، وهكذا تتابعت المؤلفات والتصنيفات التي يطول ذكرها .

علم الحديث عند الزيدية :

والحقيقـــة التي قد يكون ذكرها هاهنا من الأهمية بمكان إن بعض المحدثين عمـــد إلى غمط جهود الشيعة عموماً والزيدية خصوصاً ، في خدمة الحديث وعلومه ، بل إن أكثرهم تعدى ذلك وتخطاه ، فعمد إلى جرحهم ، والغمز ، واللمز في أي حديث يروونه أو كتاب يسطرونه ، بلا ذنب ارتكبوه أو جرم فعـــلوه ، وإنما لكونهم أحبوا من جعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حبه علامة للعدالة والإيمان ، وبغضه علامة للنفاق والخسران .

والعجـــب كـــل العجـــب أن بعض المحدثين جعل الحب علامة للجرح ، والبغض علامة للتعديل ، (فجرح الشيعة مطلقاً ، ووثق النواصب غالباً)[1] ، وهـــم في ذلـــك مـــتأثرون بما فرضته الدولة الأموية ومن بعدها العباسية من الأحاديث الموضوعة والقواعد المرفوضة ، وإذا كان علماء الحديث قد تجشموا مشـــقة الســـفر في تلقي الحديث ومشافهة الشيوخ ، فإن أهل البيت عليهم الســـلام اقـــتحموا القفار ، وشافهوا السيوف ، في سبيل إحياء السنة وإماتة البدعة ، فصححوها بالدماء ، وفدوها بالأرواح .

وما خروج الإمام الحسين بن علي عليه السلام وحفيده الإمام زيد بن علي عليه السلام على الدولة الأموية ، إلا أحد الأدلة على ذلك ، وقد قال الأول :

---

(١) ـــ انظر العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل / للسيد العلامة محمد بن عقيل .

المتوفى سنة ٢٩٠هـ .

وفي أواخـــر القرن الثالث الهجري ، وأوائل القرن الرابع الهجري ، اشتهر الإمـــام الهادي عليه السلام المتوفى سنة ٢٩٨هـ ، وله في ذلك كتاب شرح معـــاني السنة ، والإمام الناصر الأطروش عليه السلام المتوفى سنة ٣٠٤ هـ ، والإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام المتوفى سنة ٣١٠هـ ، وشقيقه الناصر بن الهادي عليه السلام المتوفى سنة٣٢٥هـ .

وفي منتصف القرن الرابع الهجري حتى أوائل القرن الخامس الهجري اشتهر الإمـــام أبو العباس الحسني المتوفى سنة٣٥٣هـ ، والإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني المتوفى سنة٤١١هـ ، والإمام الناطق بالحق أبو طالب المتوفى سنة٤٢٤هـ ، والإمام أبو عبدالله محمد بن علي العلوي المتوفى سنة٤٤٥هـ ، والإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الجرجاني المتوفى سنة ٤٧٩هـ ، وهكذا استمرت خدمتهم للسنة النبوية عبر مختلف القرون حتى يومنا هذا .

قواعد أهل البيت في كيفية قبول الأحاديث :

وقـــد يكـــون من المفيد هنا التأكيد على أنهم انطلقوا في التعامل معها من منطلقات صحيحة ، وقواعد قوية ، وهم وإن لم يدونوا أكثرها نظراً للحصار المفـــروض عليهم من جانب ، والجهاد في سبيل الله وقمع أعداءه من جانب آخـــر ، فـــإنهم قد التزموها في مناهجهم ، وطبقوها في مروياتهم ، وهنالك ثوابت تجمعهم في التعامل مع الأحاديث ومنها :

- **العرض على كتاب الله تعالى :**

وتعتـــبر قاعدة العرض على كتاب الله من أهم القواعد الأساسية عندهم

على القرآن فليس عني و لم أقله ، وأنا بريء منه)[١] .

وكـــانت السيدة المحدثة نفيسة[٢] بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عـــليهم الســـلام المتوفاة سنة ٢٠٨هـــ ، راوية ، محدثة من خيرة المحدثين في عصـــرها ، وكان يجلس في حلقتها مشاهير المحدثين ، وممن أخذ عنها الإمام الشـــافعي[٣] رحمه الله . وهكذا استمر العطاء الحديثي عند الزيدية حتى القرن الثاني الهجري .

وفي أوائـــل القـــرن الثالث الهجري اشتهر الإمام القاسم بن إبراهيم[٤]عليه السلام ، المتوفى سنة ٢٤٦هـــ ، والإمام أحمد بن عيسى بن زيد عليه السلام ، المتوفى سنة ٢٤٧هـــ ، والإمام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد عليه السلام ، المـــتوفى ســـنة ٢٦٠هـــ ، والمحدث محمد بن منصور المرادي رضي الله عنه

---

(١) ـــ الرسالة المدنية ـــ خ ـــ وسيأتي الكلام عن حديث العرض مفصلاً .

(٢) ـــ نفيســـة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عليهم السلام محدثة عالمة ، مشهورة بالفضل والزهد والعبادة ، قرأ عليها كثير من المحدثين والعلماء ، ومنهم : الإمام الشافعي رضوان الله عليه، وهي التي عناها الإمام الهادي بقوله : (وفي ذلك ما حدثني أبي عن أبيه أنه قال : قرأت مصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند عجوز مسنة من ولد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ... إلى قوله : فقرأته فإذا هو هذا القرآن الذي في أيدي الناس حرفاً حرفاً لا يـــزيد حرفاً ولا ينقص حرفا) ، [المجموعة الفاخرة :٥٤٩] .ولما توفي الشافعي طلب الناس مـــنها أن تصـــلي عليه ، فأمرت بأن يدخل إلى محرابها ، وصلت عليه ، ولما توفيت سنة٢٠٨هـــ تشفع أهل مصر لدى زوجها بأن تدفن لديهم ، فدفنت في محرابها ومشهدها بمصر مشهور مزور ، معروف بمشهد السيدة نفيسة . (ابن خلكان في وفيات الأعيان :٣/٢١٠ ، والشذرات : ٢/٢١ ، حســـن المحاضرة : ١/١١٨ ، والنظم التعليمية عند المحدثين : ١٤٣ ، تاريخ التربية الإسلامية : ٣٢٨ـــ٣٢٩) .

(٣) ـــ ستأتي ترجمته .

(٤) ـــ ستأتي ترجمته وترجمة من ذكر بعده .